حركةُ المختار بن أبي عُبَيد الثَّقفي في الكوفة (64هـ - 67 هـ/ 684 - 686 م) بين الخِطاب والشِّعارات والمواقف السياسيَّة

رياض حمودة حاج ياسين[1]، أمجد ممدوح الفاعوري[2]

https://doi.org/10.35516/jjha.v20i1.3077

ملخص

تتناولُ الدراسةُ بالتَّحليل حركةَ المختار بن أبي عبيد الثَّقفي من حيثُ الخطابُ والشِّعارات، وهي الحركةُ التي ظهرت في الكوفة مناهضةً للحُكم الأُموي، وتميَّزت بمواقفها السياسيَّة، التي تمحورت حول المُطالبة بالاقتصاص من قتلة الحُسَين بنِ علي، والمناداة بأحقيَّة أخيه محمد بنِ علي بن أبي طالب المعروف بابنِ الحنفيَّة (ت81هـ/ 700م) بالإمامة. وقد كان لهذه الحركة أدوارٌ سياسيَّةٌ وعسكريَّةٌ عمَّقت الخِطابَ الثَّوري الشيعيَّ المُناهض للدَّولة الأُمويَّة، وبالمحصِّلة أسَّست لاتِّجاه جديد في الفكر الشيعيّ عنوانُهُ الغُلُوُّ والتَّطَرُّفُ والثَّوريَّة. وعليه، فتحاولُ الدراسةُ استجلاءَ خطاب حركة المختار الفكريّ والثَّقافيّ، وبالأخصّ دراسة الشِّعارات التي تبنّتها، وكيف انعكست على المواقف التي رفعتها.

الكلمات الدالة: المختار، الشِّعارات، الغُلُو، المُعارضة، المواقف السياسيَّة والفكريَّة.

المقدِّمة:

تناولت الكثيرُ منَ الدراسات التي تصدَّت لتاريخ الدَّولة الأُمويَّة حركةَ المُختار بن أبي عبيد الثَّقفي، ولكنَّها -عمومًا- تناولت الجانبَ العسكريَّ والجانبَ المنهجيَّ في تحليل الروايات المتعلِّقةِ بها، وإن أشارت إلى بعض ملامح خطابها وشعاراتها، غيرَ أنَّها لم تتعمَّق في دراسة مدلولاتها وتأثيراتها السياسيَّة والفكريَّة (أبو الشَّعر 1983). وعليه، فتركِّزُ الدراسةُ الحاليَّةُ على ثلاثة محاور؛ أوَّلها: موقف المختار بن أبي عُبيد السياسي، وثانيها: خطاب المختار بين الشِّعارات والدَّلالات، وثالثها: شعارات حركة المختار وعلاقتها بالفكر الشيعي.

اعتمد الباحثان في هذه الدراسة على المنهجين الوصفيّ والتاريخيّ؛ إذ تمكَّنت بالاستناد إلى المنهج الوصفي التَّحليليّ من ملاحظةُ المشكلة ووصفها، فقدَّمت مقترحاتٍ وعرضت للنَّماذج والأدلَّة التي تدعم فرضياتها المطروحة أو تنفيها، ووظَّفت المنهجَ التاريخيَّ في مراجعة بياناتها المتعلِّقة بالروايات التاريخيَّة التي رُصِدَت وتوظيفها في رسم معالم رؤية المختار الثَّقفي السياسيَّة.

[1] قسم التاريخ والحضارة، كليَّة الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن
[2] قسم التاريخ، كليَّة الآداب، الجامعة الأردنيَّة، عمّان، الأردن

تاريخ الاستلام: 2024/7/31 ، تاريخ القبول: 2024/12/2

©2026م عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

أوّلًا- موقفُ المختار الثقفيّ السياسيُّ: المؤثّراتُ والتحوُّلاتُ:

يُعدُّ المختارُ بن أبي عُبيد الثقفي، المُكَنّى بأبي إسحق (1-67هـ/ 622-687م) من الزُّعماء الثائرين على الأُمويين؛ فهو ينتمي إلى قبيلة ثقيف العدنانيَّة ومركزُها في الطائف، وهذا يجعله واحدًا من الأرستقراطيَّة العربيَّة التي تمتَّعت بالامتيازات التي انحصرت في أشراف العرب ورؤسائهم، فكان ميسورَ الحال، كما ارتبط بمصاهرات ساعدته كثيرًا في حياته العمليَّة لاحقًا، وبخاصَّة صلته بقريش (الطبري 1963 ج5: 570- 571؛ ج6: 8؛ المسعودي 1986 ج3: 73؛ الهمداني 1989: 330-332؛ البغدادي 1988: 46)، إضافةً إلى أنَّ والده برزَ في عمليات فتوح العراق، وكان من خيرة الصَّحابة، واستُشهد يومَ الجسر ضدَّ الفرس -وكانت أول هزيمة تلحق بالجيش الإسلامي في جبهة العراق- (13هـ/ 634م) (ابن خياط 1968 ج1: 92-93؛ اليعقوبي 1993 ج2: 31؛ الطبري 1963 ج2: 460؛ الكتبي 1973 ج4: 123). وكان جدُّهُ عروةُ بنُ مسعود الثَّقفي عظيمَ القريتين مكَّةَ والطائف، الذي أُشير إليه في القرآن الكريم بقوله تعالى "وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ"[1] (ابن كثير 1998)، كذلك كان أحدَ المبعوثين من المشركين للتّفاوض مع النّبيّ في صُلح الحديبيَّة (ابن الاثير 1979 ج3: 21)، فهو ينطلق من إرث عائلي كبير أسهم في تعزيز طموحه وتطلُّعه للسُّلطة.

لقد تميّزت شخصيةُ المختار بالطُّموح الشّخصي، وترافق ذلك مع شجاعة فائقة، هذا إلى جانب ذكائه الذي جعله يدرك تمامًا طبيعة الأوضاع المضطربة، كل ذلك ساعده ليتطلع إلى الزّعامة السّياسية، كمُمثل للجماعة المتمردة على سياسة الدولة الأموية. وقد أفصح المختار نفسه عن طموحه وتطلعاته السياسية، ففي محنته الأخيرة محاصرًا من قبل جيش مُصعب بن الزبير، قال للسائب بن مالك الأشعري -أحد قادته، وقد قُتل معه سنة 67هـ من قبل جيش مُصعب بن الزبير- وهما محاصران في القصر: "ما ترى؟ قال الرأي لك، فما ترى؟ قال: أنا أرى أم الله يرى؟ قال الله يرى، قال ويحك. أحمق أنت. إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ورأيت نجدة انتزى على اليمامة، ومروان-ابن الحكم-(64-65هـ/ 683-684م) على الشام، فلم أكن دون أحد من رجال العرب، فأخذت هذه البلاد، فكنت كأحدهم، إلا أني طلبتُ بثأر أهل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ نامت عنه العرب، فقتلت من شرك في دمائهم، وبالغتُ في ذلك إلى يومي هذا" (الطبري 1963 ج6: 107؛ البلاذري 1996 ج6: 440؛ ابن أعثم 1991 ج6: 291). وعند دراسة السّيرة السّياسية الأولى للمختار الثقفي، لا نجد له فيها ما يدل على لون سياسي واحد محدد، فقد وُصف المختار بأنه عثماني، يتبيّن هذا من سماع أحد أنصاره ينادي بشعار: "يا لثارات عثمان". فقال لهم رفاعة بن شداد: مالنا ولعثمان. لا أقاتل قومًا يبغون دم عثمان (البلاذري 1996 ج6: 376؛ الطبري 1963 ج6: 50). كما أظهرته بعض الروايات ضد الشّيعة العلوية، وبعضها جعلته متشيعًا لبني هاشم عمومًا (الطبري 1963 ج6: 13، 15)، في حين وصفته روايات أخرى بأنّه خارجي (الطبري 1963 ج6: 44؛ الشهرستاني 2011: 168). وكلُّ ذلك لتحقيق طموحه الشخصيّ، وهذا ما سنبينه لاحقًا.

حادثة مقتل الحسين والتّحول في الموقف السياسي للمختار:

لم يكن المختار الثقفي راضيًا عن موقف الحسن بن علي بن أبي طالب المهادن للأمويين، بل أكثر من ذلك، انتهز هذا الموقف ليتقرَّب إلى معاوية بن أبي سفيان (41-60 هـ/ 661-680 م)

حيث نصحه عمه سعد الثقفي بتسليم الحسن إلى معاوية (الطبري 1963 ج5: 569). وبالمقابل فقد آوى مسلم بن عقيل بن أبي طالب في داره لفترة من الزّمن حين وصوله الكوفة تمهيدًا لقدوم ابن عمه الحسين ابن علي لما طلبه أهلها

[1] سورة الزخرف: 31.

للثورة ضد الدولة الأموية (الطبري 1963 ج5: 569). ولكنه لم يخرج ليقاتل في الطف مع الحسين بن علي في معركته ضد الدَّولة الأموية، كما لم يتعاون مع سليمان بن صرد الخزاعي المعروف بقربه من الإمام علي بن أبي طالب (الذهبي 2001 ج3: ص395؛ ابن كثير د.ت. ج8: ص251–255)، زعيم حركة التّوابين، بسبب نزعته الاستقلالية وحبه للزّعامة. بل على العكس حاول أن يكسب أتباع ابن صرد ويؤلبهم عليه؛ إذ وصفه لهم قائلاً: إنَّما ابن صرد "عشمة من العشم –يابس من الهزل–، وحفشٌ بالٍ، ليس بذي تجربة للأمور، ولا له علمٌ بالحروب، إنّما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم...". (الطبري 1963 ج5: 561، 580). وفي المقابل تشير بعض الروايات إلى أن المختار كان يُحارب دفاعًا عن الكعبة مع الخوارج وعبدالله بن الزبير ضد جيش الدولة الأموية سنة 64هـ/683م (الطبري 1963 ج5: 576، 563–564؛ البغدادي 1988: 51–50). وبذلك يمكن القول إن المختار لم يكن من الشيعة العلوية –على الأقل– في هذه الفترة المبكرة من حياته السياسية والفكرية. ومما يؤكد ذلك أنه حسب أحد الباحثين المحدثين (فاروق 1999: 102) كان يدافع عن فكرة العثمانية. ولعل ذلك يعود إلى تفسير العثمانية بمعنى الانحياز للأمويين، في حين تعني العثمانية الغضب لمقتل الخليفة عثمان بن عفان (35هـ/ 656م) واعتباره شهيدًا، فالعثمانية بالمعنى السياسي تأصيلًا يفترض أن تعني الحياد لا مساندة الدولة الأموية مساندة فعلية.

إنَّ نزول مسلم بن عقيل في دار المختار (الطبري 1963 ج5: 569) لا يكفي دليلًا على تشيُّعه، في الوقت الذي لا ينتظر معه أن يُسَلِّمَ المختارُ ابنَ عقيل للدولة الأموية؛ ذلك لأن المختار كان عثمانيًّا وليس من أنصار الأمويين. إضافة إلى أن ابن عقيل لم يبقَ في دار المختار، فسرعان ما انتقل إلى دار هاني بن عروة المرادي –كان من أنصار آل علي بن أبي طالب المخلصين–، وقد فقد حياته فداءً لمسلم بن عقيل لرفضه تسليمه للدولة (البلاذري 1996 ج2: 228، 340؛ الطبري 1963 ج5: 264؛ المسعودي 1986 ج3: 71، 73). وعلى إثر ذلك أطلق ابن عقيل شعارًا لمناهضة الدولة استخدمه المختار لاحقًا هو "يا منصور" (البلاذري 1996 ج2: 338؛ المسعودي 1986 ج3: 71). علمًا أنَّ هذا الشعار قد استخدم قبل الإسلام وبعده في عهد الرسول –عليه الصلاة والسلام– وبعده، وهذا ما سيتَّضح في موضعه عند مناقشة الشعارات.

لعلَّ المختار الثَّقفي أدرك مبكّرًا أنه ليس من بين العلويين آنذاك من يعتقد بضرورة حمل السِّلاح ضدَّ الدولة الأموية، حتى محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية (ابن حزم 1985 ج5: 43؛ البغدادي 1988: 46) كان سلبيًّا في معارضته للأمويين، يقول أكثر مما يعمل (الطبري 1963 ج6: 14، 75)؛ لذلك قرَّر المختار التوجُّه صوب عبدالله بن الزبير، وكان رأيه فيه أنه: "رجل العرب اليوم، وسوف أكفه أمر الناس أن سمع قولي، وإلّا يفعل فوالله ما أنا بدون أحد من العرب" (الطبري 1963 ج5: 572–575؛ البغدادي 1988: 46). ولما كان المختار يخاطب ابن الزبير ويطلب ودَّه كان ذلك دون علم الشيعة (الطبري 1963 ج6: 50). ولعلّ هذا دليلٌ آخَرُ على أن المختار لم يكن شيعيًّا علويًّا في هذه الفترة.

اتَّضحت الخطة السياسية عند المختار عندما أدرك أن العمل لتولية ابن الزبير يبعده عن تحقيق حلمه وطموحه الشخصي، فتركه، واتصل بمحمد بن الحنفية (الطبري 1963 ج5: 578). لقد أدرك المختار مبكّرًا أنّ الوصول إلىً هدفه يكون أقرب وأسهل عبر العمل من بوابة التشيُّع للعلويين، وبخاصة أنه يرفع شعارات تلامس عواطف الشيعة سِيَّما الدينية منها، وهنا تظهر الدلالة السياسية للمختار بن عبيد، فهو يريد تحقيق هدفه السياسي بالأسلوب العسكري، ولا سِيَّما وأن الشيعة كانوا مندفعين بعواطفهم الدّينية أكثر من رغبتهم في الوصول إلى الحكم مهما كان شكله. وهذا يدلُّ على ذكاء المختار السِّياسي الذي كانت طموحاته السياسية في الوصول إلى السلطة أساسًا لمواقفه وتحرُّكاته وليس

اتجاهه الفكري، وانعكس ذلك بمقولته "إنه ليس بأدنى أحد من العرب" (البلاذري 1996 ج6: 440؛ الطبري 1963 ج6: 107؛ ابن أعثم 1991 ج6: 291). وقد أدرك بعض الباحثين طبيعة شخصية المختار، فوصفوه بالوصولية ومحاولة استغلال حراجة الموقف لمصلحته الخاصة، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ بوضوح على مدى طموح الشخصي وثقته بنفسه (فاروق 1999: 103).

اختلف المؤرِّخون في طبيعة الصِّلة بين المختار الثقفي وابن الحنفية، فمن قائل: إن ابن الحنفية لم يثق بالمختار ولم يفوِّضه العمل من أجله، ومن قائل إن ابن الحنفية ربَّما وافق على اقتراح المختار بأن يعمل له ويجمع الشيعة باسمه، ولكنه كان دبلوماسيًّا في تعامله مع المختار فاحتفظ بموقف ضبابي معه دون أن يرتبط بشكل مباشر معه، وإذا ما اضطرَّ إلى التَّصريح كان تصريحه غامضًا (الطبري 1963 ج6: 14). وهذا يؤشِّرُ على عدم ثقة ابن الحنفية بالمختار وتخوُّفه من استثمار علاقته به لتحقيق طموحاته الشخصية، ومهما يكن من أمر فإنَّ المختار فَسَّرَ هذا الموقف غير الملتزم والمبهم الذي كان أقرب إلى الصمت على أنه إقرار ومباركة من ابن الحنفية له.

ورغم أن ابن الحنفية لم يأمر المختار بمناهضة الأمويين مباشرة، حين قال لوفد زاره من أهل الكوفة: "فوالله لوددتُ أنَّ الله انتصر لنا من عدوِّنا بمن شاء من خلقه" (الطبري 1963 ج6: 14). إنَّ جواب ابن الحنفية المبهم فسَّره المختار لصالحه فجمع الشيعة وأنباهم أنه "وزير وظهير، ورسول وخليل، وأمام الهدى، والنجيب المرتضى، وابن خير من طشى ومشى –ابن الحنفية– وأمركم باتباعي وطاعتي في ما دعوتكم إليه من قتال المُحلّين، والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين" (البلاذري 1996 ج6: 384–385؛ الطبري 1963 ج6: ص14–15، 386).

لاقت خطبة المختار استحسان الشيعة في الكوفة، فاستجمعت له ولحقت به؛ فهو يعي ما يقول ولمن يقول ومتى يقول. لقد خاطبهم بأسلوب يدغدغ عبره مشاعرهم وعواطفهم الجياشة تجاه آل البيت مُعزِّزًا كلامه لهم بأنه مفوض من قبل ابن الحنفية بالثأر لقتلة الحسين، وانتزاع السلطة من الأمويين المغتصبين لها، وتسليمها لمستحقيها من آل النبي محمد، صلّى الله عليه وسلَّم؛ فأهل الكوفة كما وصفهم أهل الدين، وأعوان الحق وأنصار الضعيف، وشيعة الرسول، وآل الرسول" (البلاذري 1996 ج6: 367، 384–385، 386، 429–430؛ الطبري 1963 ج6: 9، 14–15، 95). وهنا يتَّضح الجانب الديني في قول المختار الثقفي للشيعة؛ فقد وصف خصومه بالمُحلّين؛ أي الذين أحلّوا إراقة دماء آل بيت النبي، صلّى الله عليه وسلَّم (الطبري 1963 ج6: 74، 32؛ ابن اعثم 1991 ج6: 227).

بعد أن تحقَّق المختار من وقوف الشيعة العلوية إلى جانبه وإخلاصهم له أعلن حركته ضد الدولة الأموية في ربيع الأول سنة 66هـ/685م[2] (البلاذري 1996 ج6: 387–443؛ الدينوري 1959: 299؛ الطبري 1963 ج5: 34، 44؛ مسكويه 1987 ج2: 142–143، 165). ونادى المختار قُبَيلَ القتال طرفَي اللقاء أهل الشام والشيعة، مرهِّبًا أهل الشام ومرغِّبًا الشيعة قائلاً لهم: "أنا المختار بن أبي عبيد، أنا الكرار غير الفرار، أنا المقدَّم غير المحجم، إليَّ يا أهل الحفاظ وحُماة الإدبار" (البلاذري 1996 ج6: 379) فاستجمعت له الشيعة وانضمت إليه (الطبري 1963 ج6: 15).

شكَّلت حادثة مقتل الحسين بن عليٍّ في كربلاء في العاشر من محرم لسنة 61هـ/680م (البلاذري 1996 ج3: 418) الشرارة التي أشعلت حركة المختار بن أبي عبيد، فبعد موت الخليفة يزيد بن معاوية (60–64هـ/ 680–683م) (الطبري 1963 ج5: 494) وهروب عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان والي العراق ليزيد بن معاوية (الطبري 1963 ج5: 494؛ البغدادي 1988: 50) عمَّت الاضطرابات في العراق؛ حيث بدأ أنصار الحسين بن علي يتصلون ببعضهم

[2] حول الجانب العسكري لحركة المختار الثقفي، انظر: (هند أبو الشعر 1983)

بعضًا ويشحذون الهمم لوضع خُطَّة محكمة للثأر للحسين، بعد أن ندموا على تقاعدهم وتقاعسهم عن نصرته، معترفين بخطيئتهم، مظهرين توبتهم عن خذلانه (البلاذري 1996 ج6: 368–370؛ ابن أعثم 1991 ج6: 209–210، 215، 222)، ولم يجدوا أيَّ وسيلة لتبرير هذا التقصير سوى الثأر للحسين؛ حيث بدأوا يعقدون الاجتماعات برئاسة سليمان بن صرد الخزاعي، وكان يغلب على هذه الاجتماعات طابع الغفران والتوبة؛ لذا أُطلِق عليهم اسم التّوابين (البلاذري 1996 ج6: 368–370؛ ابن أعثم 1991 ج6: 209–210، 215، 222؛ البغدادي 1988: 50).

ثانيًا– الخطاب والشعارات في حركة المختار الثقفي:

1– شعار يا لثارات الحسين:

بعد مقتل الحسين بن علي في كربلاء سنة 61هـ/680م (البلاذري 1996 ج6: 387–443؛ الطبري1963 ج5: 34، 44، 394؛ الدينوري 1959: 299؛ مسكوية 1987 ج2: 142–143، 165) مع عدد من آل أبي طالب وأصحابه ومواليه (الطبري 1963 ج5: ص 393) رفعت حركة التوّابين شعار "يا لثارات الحسين"، فلم يلبث الذين استدعوه للخروج في الكوفة أن ندموا على خذلانهم له وابتعادهم عنه، لخوفهم من عبيد الله بن زياد؛ فقد شعر هؤلاء بفداحة الذنب الذي ارتكبوه وسعوا إلى التكفير عنه بالتوبة والخروج على قتلته والثأر له، فعُرِفَت حركتُهم هذه باسم حركة التّوابين. وعند قبر الحسين رفع هؤلاء التائبين شعار "يا لثارات الحسين" (البلاذري 1996 ج6: 368–370؛ ابن أعثم 1991 ج6: 209–210، 215، 222)، وهم أول من نادى بهذا الشعار. وقد بدأ أتباع هذه الحركة بترجمة هذا الشعار فكريًّا وعمليًّا على أرض الواقع؛ إذ أصبح شعارهم ذا مضامين دينية وسياسية يحمل عقيدةً راسخةً في نفوس الشيعة تطالب بالثأر من قتلة الحسين عبر العمل العسكري؛ وبذا لم يقدِّموا خطابًا فكريًّا وسياسيًّا، بل تجاوزوه إلى العمل الثوري العسكري. هذا الاتجاه عبَّر عنه زعيم حركة التَّوابين سليمان بن صرد الخزاعي عندما ظهر نادمًا هو وأتباعه على خذلانهم للحسين بقوله: "إنه لا يغسل عنهم ذلك الجرم إلّا قتل من قتله، أو النيل منه" (البلاذري 1996 ج6: 368–370؛ ابن أعثم 1991ج6: 209–210، 215، 222؛ الدينوري 1959: 299؛ المسعودي 1986 ج3: 111–112؛ الدوري 1986: 25). ويتبيَّنُ الجانبُ الديني تحديدًا في هذا الشعار من قول ابن صرد لأنصاره، لما رفض مغريات الدَّولة الأمويَّة لثنيه عن طلب الثأر للحسين وأهل بيته بقوله: "إنّا والله ما نطلب من الغنيمة إلّا رضوان الله". فنادى الناس من كل جانب "إنّا لا نطلب الدُّنيا وليس لها خرجنا" (البلاذري 1996 ج6: 369؛ ابن أعثم 1991 ج6: 215).

إن توقيتَ رفع هذا الشعار تزامن مع إحساس أهل الكوفة بالذَّنب لخذلانهم الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد أسهم ذلك على ما يبدو في التأثير في قناعات الناس حتى أولئك الذين لم يكن لهم رأيٌ سياسيٌّ ولم يكونوا من الشِّيعة، فازداد عدد المطالبين بالثأر للحسين، الأمر الذي شكَّل خطرًا على الدَّولة الأمويَّة التي على ما يبدو استشعرت ذلك فحاولت التَّصدي له (الطبري 1963 ج5: 598–599).

لقد شكَّلت حركةُ التَّوابين المُناخ الملائم الذي تعزَّز معه نموُّ فكرة الاقتصاص من قتلة الحسين بن علي، فتعزَّزت الفكرةُ الشيعيَّةُ بهذا المعنى، فخلال القتال مع والي العراق عبيد الله بن زياد 61–64هـ نادى ابن صرد أنصاره بأعلى صوته قائلاً: "يا شيعة آل محمد، يا من يطلب بدم الشهيد ابن فاطمة، ابشروا بكرامة الله عزَّ وجلَّ، فوالله ما بينكم وبين الشهادة ودخول الجنة والراحة من هذه الدُّنيا إلّا فراق الأنفس والتوبة والوفاء بالعهد" (ابن أعثم 1991 ج6: 222). وهنا يُلاحظ استخدام شعار آل محمد في فترة مبكِّرة نسبيًّا، مع أن الشائع أنَّه ارتبط لاحقًا بالدَّعوة العباسيَّة، كما يُلاحظ

ارتباط هذا الشعار تمامًا بفكرة دينية تتمحور حول الشِّيعة بوصفهم من آل النَّبيّ مُحمَّد، فالتَّشيُّع بهذا المعنى مزج السياسي بالديني منذ البدايات، فامتزج الخطابُ التَّحريضي الثوري عند الشيعة بالبُعد الديني منذ بدايته.

تلاقى التَّوابون بقيادة ابن صرد مع جيش الدَّولة الذي كان بقيادة عبيد الله بن زياد سنة61هـ/680م في عين الوردة –شمال شرق سوريا حاليًّا– فقتلهم ابن زياد وشرَّدهم (الطبري 1963 ج5: 583–598، 599–608، 609؛ ابن كثير د. ت. ج8: 625). وعلى الرَّغم من انهزام التَّوابين أمام جيش الدولة فإنَّ شعارهم "يا لثارات الحسين" كان هو الشعار الرئيس لجميع الحركات الشِّيعية المناهضة للدَّولة الأمويَّة فيما بعد، وقد استمرَّ حتى سقوط الدولة الأمويَّة، وفي هذا إشارة بالغة الوضوح على أنَّ المطالبة بأحقيَّة العلويين بالإمامة ظلَّت طوالَ العصر الأموي، وأنَّ محورَ المطالبات كانت تتركَّزُ على الثأر والانتقام لمقتل الحسين وإعادة الإمامة للعلويين، لقد كان شعار "يا لثارات الحسين" هو الأساس في خطاب حركة المختار بن عبيد الثَّقفي بوصفها أولى الحركات التي رفعت شعار الثأر للحسين بعد حركة التَّوابين.

استغلَّ المختار الثّقفي هزيمة التَّوابين وتباكي أهل الكوفة على الحسين بن علي وندمهم على خذلانه (البلاذري 1996 ج6: 370؛ الدينوري 1959: 299؛ الدوري 1986: 25)، فاستقطب لحركته، بما طرح من مبادئ المساواة بين البسطاء من العرب والموالي والعبيد، بقايا التَّوابين والشِّيعة بالكوفة (الطبري 1963 ج5: 580–584؛ ج6: 7–8)، فادَّعى أنَّه أمير آل محمد ووزيرهم، وأنَّه مبعوث المهدي محمد بن علي بن أبي طالب – ابن الحنفية– للمطالبة بدم أخيه الحسين (البلاذري 1996 ج3: 478؛ ج6: 367–391؛ الطبري 1963 ج5: 580؛ ج6: 14، 23، 46، 76–77؛ البلخي 1997 ج2: 247؛ ج3: 368؛ ابن كثير، البداية والنهاية، د. ت. ج8: 648)، الشهيد المظلوم المقتول بالطفّ، سيِّد المسلمين، وابن سيِّدها (البلاذري 1996 ج6: 391؛ الطبري، 1963، ج5: 572؛).

لم يكتفِ المختار الثقفي بذلك، بل زعم أنَّ الوحي يأتيه ويخبره بالغيب (المسعودي 1986 ج3: 90؛ البغدادي 1988: 53؛ ابن حزم 1985 ج5: ص 43؛ الشهرستاني 2011: 169؛ ابن كثير، البداية والنهاية، د. ت. ج8: 661) لدرجة اعتقد بعض البسطاء من أصحابه وأتباعه أنه معصوم (الطبري 1963 ج6: 29)؛ فقد كان يخاطب الناس على قدر طبقاتهم ومقاديرهم في أنفسهم وعقولهم، فمنهم من يخاطبه بإمامه محمد بن الحنفية، ومنهم من يدفعه عن هذا فيخاطبه بأن الملك جبريل يأتيه بالوحي ويخبره بالغيب (المسعودي 1986 ج3: 90؛ ابن كثير، البداية والنهاية، د. ت. ج8: 661).

لقد رفع المختار شعار "يا لثارات الحسين" (البلاذري 1996 ج6: 390، 399، 403؛ الطبري 1963 ج6: 7، 20، 23، 115؛ ابن أعثم 1991 ج6: 233، 235؛ المسعودي 1986 ج3: 89، ابن كثير، البداية والنهاية ، د. ت. ج8: 637؛)، وهو الشعار الرئيس في حركته، فنجح في تبني خطاب ينال عبره مراده ويحاكي طموحه السياسي، خطاب يقوم على محاكاة المفردات الدينية ذات الدلالة السياسية التي ترمز لفكرة إعادة الإمامة لأهلها، والمقصود بأهلها آل محمد تحديدًا، عبر التَّحريض على الثأر من قتلة الحسين حفيد النبي، عليه الصلاة والسلام، فكان تأثير الخطاب على المقرَّبين منه كبيرًا، كما ساعده هذا الخطاب في زيادة عدد أتباعه من البسطاء، مدغدغًا عواطفهم الدينية وحبَّهم لآل بيت النبي، صلّى الله عليه وسلّم، ومنها قوله لهم: "ما من ديننا تركُ قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدُّنيا آمنين، بئس ناصرُ آل محمد أنا إذن في الدُّنيا، أنا إذن الكذاب، فإني بالله أستعين عليهم، الحمد لله الذي جعلني سيفًا ضربهم به، ورمحًا طعنهم به، وطالبَ وترهم، والقائم بحقهم، أنه كان حقًّا على الله أن يقتل من قتلهم، وأن يذلَّ من جهل حقَّهم، فسموهم لي ثم أتبعهم حتى تفنوهم" (الطبري 1963 ج6: 57–66؛ المسعودي 1986 ج3: 89). وقوله أيضًا: "اطلبوا لي قتلة الحسين، فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أُطهِّرَ الأرضَ منهم وأنفي المُصر منهم" (الطبري 1963 ج6:

57–66؛ المسعودي 1986 ج3: 89). وهذا يدلُّ بوضوح على أنه تمثَّل شعار "يا لثارات الحسين" وجعله أساسًا لحركته، ولم يقدم خطابًا مناهضًا للدولة الأمويَّة مبنيًّا على فكرة سياسية صِرفة فاعتمد على الخطاب الديني لاستعطاف أتباعه، في إشارة بالغة الوضوح إلى مركزيَّة حادثة مقتل الحسين في حركته ضد الأمويين، ومما يؤكِّدُ ذلك انضمام الشِّيعة ومؤازرتهم لحركته وبيعتهم له وبخاصَّة عندما أظهر البكاء والجزع والحنين على الطالبيين، فساروا معه إلى قصر الإمارة وتغلَّب بهم على الكوفة (الطبري 1963 ج5: 580؛ المسعودي 1986 ج3: 89). فبايعه أهلها عربًا وموالي على "كتاب الله وسُنَّة نبيِّه، والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المُحلين، والدفاع عن الضُّعفاء" (البلاذري 1996 ج6: 384–385؛ الطبري 1963 ج6: 13–15، 32؛ ابن أعثم 1991 ج6: 227). ولما بايعوه خطبهم قائلاً: "ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب (35–40هـ/ 656–661م) وآل علي أهدى منها" (الطبري 1963 ج5: 580؛ ج6: 32). وزيادة في استنهاض الشِّيعة، وتذكيرهم بما كانوا لاقوه من جهة الدَّولة، قال أحد رجال المختار وهو يزيد بن أنس –المالكي الأسدي، من أسد بن خزيمة خرج معه على بني أمية مطالبًا بدم الحسين– محرِّضًا لما هاجمهم شبث بن ربعي –اليربوعي، من رؤساء الكوفة، وهو من الصَّحابة، وكان أول من أعان على قتل الخليفة عثمان– (ابن حجر العسقلاني د. ت. ج3: ص 302–303) وأراد استئصالهم حتى لا يتزايد عددهم بعد أن دغدغ المختار عاطفتهم الدينية وحبهم لآل بيت النبي "يا معشر الشيعة، قد كنتم تُقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم، وتسمل أعينكم، وترفعون على جذوع النخل في حُبّ أهل بيت نبيكم، . . . فتيسروا للشدة، وتهيئوا للحملة" (الطبري 1963 ج6: 26).

لقد حشد المختار الكثير من الأتباع، وتقرَّب بخطابه من الناس لكسب ودِّهم والتفافهم حوله، فخاطب عموم الكوفيين ابتداءً بوضوح (الطبري 1963 ج5: 580–584؛ ج6: 7–8)، واتضح خطابه في التَّقرُّب لفئات أخرى مثل الموالي، وهم المسلمون من غير العرب؛ إذ كان يقول لهم: "أنتم مني وأنا منكم" (الطبري 1963 ج6: 33). شهد بيعة الرضوان، وذهبت عينه يوم اليرموك، وقيل يوم القادسية (الذهبي 2001 ج3: 22). لقد أراد المختار من جذب الموالي لحركته أن يُرسِّخ مقولة كان قد قالها له سابقًا المغيرة ابن شعبة الثقفي، يوردها البلاذري (ت 279هـ)، بقوله: "...فمر بالسّوق –أي المختار– فقال المغيرة: أما والله إني لأعرف كلمة لو دعا بها أريبٌ لاستمال بها أقوامًا فصاروا له أنصارًا، ثم لا سِيّما العجم الذين يقبلون ما يُلقى إليهم، قال المختار: وما هي يا عم؟ قال: يدعوهم إلى "نصرة آل محمد والطلب بدمائهم"، فكانت هذه النصيحة في نفس المختار حتى وضعها موضع التنفيذ بعد مقتل الحسين بن علي فدعا بها" (البلاذري 1996 ج6: 387، 430، 448؛ الطبري 1963 ج6: 97).

وحاول المختار أن يحشد العبيد لحركته ووعدهم بالحرية إن انضموا إليه (البلاذري 1996 ج6: 430، 448؛ الطبري 1963 ج6: 97)؛ فقد خاطبهم قائلاً: "من جاءنا من عبد فهو حرٌّ، فبلغ ذلك ابن الزبير، فقال: قد كان يقول إني لأعرف كلمة لو قلتها كثر تبعي وهي هذه ليكثرن تبعُه" (البلاذري 1996 ج6: 448).

وهنا نتلمس أنَّ خطاب المختار قام على محاولة استمالة الأتباع باستغلال المنحى العاطفي والمنحى الاجتماعي والمنحى الاقتصادي، وقبل ذلك المنحى الديني والسياسي، فنجح في دغدغة العواطف وإلهابها، خاصّة لدى البسطاء منهم، التَّواقين للحريَّة والتَّخلص من حياتهم القاسية وتطلعهم لشظف العيش، ومن سادتهم سواء العرب أو الموالي، ومحاولة لتحسين أوضاعهم أو تغييرها، في الوقت الذي لم يرفع شعارًا لإسقاط الدولة الأموية.

لم يكتفِ المختار بشعار واحد لضمان نجاح حركته، وإن كان الشعار الرئيس يا لثارات الحسين، بل أطلق عدة شعارات، هي: "يا منصور أمت"، يا لثارات الحسين"، "يا منصور أمت يا منصور أمت"، "يا محمد" (البلاذري 1996

ج6: 390، 399، 407؛ الطبري 1963 ج6: 20، 23، 115؛ ابن أعثم 1991 ج6: 233، 235؛ ابن كثير د. ت. ج8: 637). وكان جيش المختار كُلما دخل جباية –محلَّة – في الكوفة نادى أصحابه بعديد من الشعارات والنداءات، مثل: "يا لثارات الحسين". "يا منصور أمت". "يا أيُها الحي المهتدون"، إلّا أن أمير آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند، فخرجوا من دورهم يتداعون: "يا لثارات الحسين بن علي" (الطبري 1963 ج6: 20–21، 23؛ البلاذري 1996 ج6: 390–391، 399، 407؛ اليعقوبي 1993 ج2: 175؛ ابن أعثم 1991 ج6: 233–234). وقال المختار لابن الأشتر؛ إبراهيم مالك بن الأشتر النّخعي من أشراف الكوفة، وهو الذي قتل عبيد الله بن زياد يوم وقعة الخازر سنة 72هـ – (الذهبي 2001 ج4: ص 35) حين أرسله لقتال والي العراق عبيد الله بن زياد: "وإذا لقيتهم نهارًا فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم إلى الله" (الطبري 1963 ج6: 82).

لقد كان شعار "يا لثارات الحسين" أكثر من نداء، صحيح أنه يحمل للوهلة الأولى الرَّغبة في الانتقام لمقتل الحسين بن علي والثأر لما جرى معه من مأساة في كربلاء سنة 61هـ/680م (البلاذري 1996 ج3: 418)، لكنَّه يمثِّلُ محاولةً لتأصيل حقِّ الحسين في الإمامة؛ إذ يتضمَّنُ دعوة صريحة إلى تحقيق العدالة بإعادة الحق إلى أصحابه، فالشِّعارُ ينتصرُ لحقِّ العلويين في الإمامة.

2– شعار يا شرطة الله:

رفع المختار الثقفي في صراعه مع السلطة القائمة في العراق شعارَ "يا شرطة الله"، يتبيَّنُ هذا من قوله لأصحابه بعد هزيمة عبيد الله بن زياد ومقتله: "يا شرطة الله"، ألم أبشِّركم بهذا قبل أن يكون (الطبري 1963 ج6: 92). وفي يوم حروراء قال المختار لأصحابه: "يا شرطة الله كِرّوا على الثعالب الروّاغة"، فحملوا فقتل محمد بن الأشعث (البلاذري 1996 ج6: 438؛ ابن أعثم 1991ج6: 288).

لم يقتصر رفع هذا الشعار والمناداة به على المختار، بل رفعه من قبل قادة المختار؛ فقد نادى به إبراهيم بن الأشتر فكان يقول لأصحابه: "يا شرطة الله، انزلوا فإنكم أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله، صلّى الله عليه وسلم" (الطبري 1963 ج6: 21). وقال أيضًا: "يا شرطة الله إلي إلي". فأحاطت به بنو عمه من قبائل مذحج والنخع" (ابن أعثم 1991 ج6: 234). ودعا ابن الأشتر بفرس له فركبه، ثم مر بأصحاب الرايات كلها، فكلما مر على راية وقف عليها، ثم قال: "يا أنصار الدين، وشيعة الحق، وشرطة الله، هذا عبيد الله بن مرجانة – يقصد ابن زياد– قاتل الحسين ابن علي ابن فاطمة بنت رسول الله" (الطبري 1963 ج6: 88). فما الذين تُبقون له جدّكم واجتهادكم بعده. يا شرطة الله إليّ أنا إبراهيم بن الأشتر إن خير فراركم كرائركم (البلاذري 1996 ج6: 425؛ الطبري 1963 ج6: 89). ولمّا وقف إبراهيم بن الأشتر بين الجمعين نادى بصوت جهوري: "إلا يا شرطة الله يا شيعة الحق إلا يا أنصار الدين قاتلوا المحلين وأولاد القاسطين، وأعوان الظالمين وجنود ابن مرجانة اللعين" (ابن أعثم 1991 ج6: 260). ولما هاجم جيشُ مصعب بن الزبير جيشَ المختار وكان بقيادة شرحبيل بن ورس الهمداني، نادى ابن ورس في أصحابه فلم يتواف إليه مئة رجل حتى انتهى إليه عباس بن سهل وهو يقول: "يا شرطة الله، إليَّ إليَّ. قاتلوا المُحلين، أولياء الشيطان الرجيم، فإنكم على الحق والهدى، وقد غدروا وفجروا" (الطبري 1963 ج6: 74). وجعل ابن ورس يقول: "يا شرطة الله إليّ قاتلوا الملحدين أولياء الشياطين. فإنكم على الحق المبين وقد غدر القوم وفجروا" (البلاذري 1996 ج6: 420).

ويظهر الجانب الديني في رفع هذا الشعار، أن اعتبر المختار شيعته هم أنصار الله، ومن ثَمَّ هم أنصار دينه وحُماته حتى يظهر وتعود الحقوق إلى أصحابها. يمثِّلُ شعارُ "يا شرطة الله" حسب مفهوم ورؤية المختار أن أتباعه، هم من اختارهم الله لتنفيذ أوامره، فهو بمثابة تفويض ديني، غرضه تحقيق العدالة كما يفهم منه، وفي الوقت نفسه يحمل ترهيبًا للخصوم ووعيدًا لهم بأنهم يعادون أولئك الذين فوضهم الله لتحقيق العدالة في الأرض، ويحمل هذا الشعار كذلك في طيّاته تبريرات جاهزة للحركة العسكريّة ضدَّ الدولة وضدَّ الجماعات التي تناصرها.

3- شعار يا منصور أمت أمت:

لم يكن المختار أوّل من أطلق هذا الشعار في حركته، فهذا الشِّعار كان معروفًا ومتداولًا منذ فترة مبكّرة في تاريخ الإسلام؛ إذ ظهر في عدَّة غزوات للرسول عليه الصّلاة والسّلام (الواقدي 1966 ج1: 8، 72؛ البلاذري 1996 ج1: 350، 387، ابن هشام 1991 ج3: ص153، 180؛ الطبراني 1983 ج7: ص101-102)، واستمرَّ تداولُه خلال الفتوحات الإسلاميَّة في العهدين الراشدي والأموي (البلاذري 1996 ج6: 390، 399، 407؛ الواقدي 1996 ج1: 128؛ ج 2: 308؛ الطبري 1963 ج3: 7، 333، 369، 434؛ ج6: 20، 23، 115؛ ابن أعثم 1991 ج6: 233، 235؛ ابن كثير، البداية والنهاية ،د. ت. ج8: 637). ويحملُ قولُ "يا منصور أمت أمت" معنى التفاؤل بالنصر بعد الأمر بالاستماتة.

توجَّه المُختار بهذا الشِّعار الى القبائل اليمانيَّة، وهي من العرب القحطانية من حمير وأهل اليمن وفروعها الذين يُمثلون أهل جنوب بلاد العرب (ابن بكار 1962)، الذين كانوا عند إعلان الحركة عصب المختارية وقوتها؛ لأنّ المنصور هو المنقذ الذي تنتظره القبائل اليمانيَّة ليخلِّصها – كما تزعمُ – من الظُّلم، ثم إنَّ إعطاء الحركة مسحةً مهدويَّة يجذب إليها كلَّ المستضعفين والمعدمين من الناس، عربًا وموالي وعبيد، الذين كانوا يشعرون بالحيف ووجود نظرة من التَّمايز والظُّلم؛ لذلك فقد بايعه الضُّعفاء من عرب وموالٍ وعبيد، وكانت بيعتهم له على "كتاب الله وسُنَّة نبيّه، والطَّلب بدماء أهل البيت، وجهاد المُحلين، والدِّفاع عن الضُّعفاء" (الطبري 1963 ج6: 32). وعقيدة المهدي هي وليدة العقل الجمعي للمعارضة من المحكومين على مرّ العصور والأزمنة (البغدادي 1988: 47).

بدأ المُختارُ العملَ في الكوفة مركز التَّذمُّر ضد الأمويين، رافعًا عدَّة شعارات يستجدي بها أهلَها، سائرًا على نهج سليمان بن صرد الخزاعي رغم انتقاده والتَّقليل من شأنه أمام اتباعه (الطبري 1963 ج5: 561، 580)؛ فقد حاول استقطاب أشراف العرب وقبائلهم، ونجح في ذلك أوّلَ الأمر، وعرض عليهم التعاون ضدَّ الدَّولة الأُمويَّة (الطبري 1963 ج6: 7-8، 32).

كان أهلُ العراق، وبخاصَّة أهل الكوفة، متحمّسين ومستعدّين للموت، وقد استهوتهم في البداية الشِّعاراتُ التي رفعها المختار وأعوانه ونادوا بها، ولا سِيَّما إبراهيم بن الأشتر؛ إذ عبَّرت حركتُه عن مكامن نفوسهم وتبيان تقصيرهم وتخاذلهم في نصرة آل بيت النّبي، صلّى الله عليه وسلَّم، ويتبيَّن تأثُّرهم بهذه الشِّعارات من ترددها والمناداة بها في ساحات القتال؛ فقد كانت دعواهم في أثناء القتال:" اللهم إنَّنا ما خرجنا إلى حرب هؤلاء القوم إلّا شارين بدمائنا وأموالنا الجنَّة، طالبين بدماء أهل بيت نبيّك محمد، صلّى الله عليه وسلَّم، فانصرنا عليهم كيف شئت، وأنّى شئت، إنَّك على كلِّ شيء قدير" (ابن أعثم 1991 ج6: 278-279؛ البلاذري 1996 ج6: 425؛ الطبري 1963 ج6: 22، 88-89). وخلال القتال نادى منادي المُختار: أنه "من أغلق بابه فهو آمن، إلّا رجلًا شرك في دم آل محمد، صلّى الله عليه وسلَّم" (الطبري 1963 ج5: 580-584؛ ج6: 33، 51؛ ابن كثير، البداية والنهاية، د. ت. ج8: 641).

إنَّ انتصار المختار على جيش مُصعب بن الزُّبير في عدَّة مواقع كان لا بُدَّ أن يجذب إليه عددًا أكبر من المناصرين،

وخاصَّة الموالي والعبيد والضُّعفاء من العرب (الطبري 1963 ج5: 580–584؛ ج6: ص33)، الذين كانوا يتحرَّكون مع كُلِّ خارج على الدَّولة لدوافع دينيَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة، وليست عنصريَّة كما روَّج لهذا السبب أصحابُ الرأي العنصري والمؤيِّدون لفرضية التَّمييز الاجتماعيّ والاقتصاديّ (الفاعوري 2023: 85). إنَّ هذا الرأي قائمٌ على تفسير الخلافات السياسيَّة على أساس النَّزعة القوميَّة العُنصريَّة، التي سيطرت على عقول هؤلاء الباحثين، ولا سِيَّما فلوتن (Van Floten) وفلهاوزن (Wellhausen)؛ لأنهم عاصروا بروز النزعة القوميَّة في أوروبا وألمانيا بشكل خاص، وردّوا النزاعات في المجتمعات إليها، ففسَّروا الصِّراع السِّياسيَّ في الدَّولة الأمويَّة على أنه يعود إلى الاختلافات القوميَّة، وركَّزوا على أنَّ سيادة العرب على العناصر الأخرى ولَّدت هذا الشعور بالظُّلم، ومن ثَمَّ الرَّغبة في التَّحرُّر من ظلم الأمويين ذوي النزعة العربية من قبل عناصر الفرس، التي وجدت الفرصة سانحة عبر الدَّعوة العباسيَّة. وتجدرُ الإشارةُ هنا إلى أنَّ هؤلاء الموالي لم يكونوا عنصرًا سياسيًّا مهمًّا في المجتمع على عهد المختار الثقفي، ولكن المختار قد أحسن استعمالهم كسلاح في يده يهدِّد به مصالح الأشراف العرب بالكوفة، فهو الذي وعد الموالي والعبيد بعهد جديد تُحقَّقُ فيه العدالة على يدي المهدي محمد بن الحنفية (البلاذري 1996 ج3: 478؛ ج6: ص430)، وأظهر لهم أنَّ غايته حمايتهم من السادة العرب وعاملهم بعدالة وفرض لهم العطاء. (البلاذري 1996 ج6: 448؛ الطبري 1963 ج6: ص33؛ الدينوري 1959: 299) وكان يلقِّبهم شيعة الحق وشيعة المهدي (الطبري 1963 ج6: 33).

ولا شكَّ فإن لهذه الألقاب دلالاتها المهمَّة التي تجذب الموالي والعبيد إلى حركته التي تنشدُ العدل كما صوَّرها المختار نفسُه بعد ازدياد أنصاره من الموالي والعبيد والضعفاء من العرب. لقد تجرَّد المختار بهؤلاء لقتال أشراف الكوفة فقتل من قتل وهرب إلى البصرة من هرب منهم (ابن عبد ربه 1999 ج4: 384).

ثالثًا– شعارات حركة المختار وعلاقتها بالفكر الشيعي:

تمكَّن المختار الثَّقفي عبر خطابه وشعاراته الدينية الشعبوية من أن يستقطب كثيرًا من الجماعات إلى حركته، تبيَّن ذلك عبر شعاراته وأقواله لكسب الأتباع، فاعتبار ابن الحنفية مهديًّا من قبل المختار يعدُّ منعطفًا جديدًا في حركة الشِّيعة العلويَّة؛ فقد استطاع المختار بهذا كسب غير العرب لحركته. وكان حريصًا على استخدام شعار "يا منصور أمت أمت"، فقرَّب إليه قبائل اليمانيَّة (فاروق 1999: 110). وبالمقابل، فإنَّ تبني المختار أفكارًا متطرِّفة، من مثل ادِّعائه أنه وزير المهدي محمد بن الحنفية ووصيه، وأنه نبيٌّ تتَّصل به الملائكة، وأنَّ لجبريل وميكائيل كرسيان في مجلسه، وكذلك استعماله السجع في أقواله ليؤثر في مشاعر أنصاره، وإطلاقه حمامات بيضاء في معاركه مدَّعيًّا أنها الملائكة جاءت لتنصره على عدوِّه (البلاذري 1996 ج6: 413–414؛ الطبري 1963 ج6: 64، 82–84؛ البغدادي 1988: 51؛ الشهرستاني 2011: 169؛ ابن حزم 1985 ج5: ص43؛ ابن كثير د. ت. ج8: 661). وكان يرجع عن أقواله أو يُغيِّر وجهات نظره بدعوى أنه أوحي إليه بحل جديد أفضل، وبمعنى آخر ادَّعى البداء على الله عزَّ وجلَّ. (البغدادي 1988: 46)، وابتاع كرسيًّا ادَّعى أنه للإمام علي بن أبي طالب وعُيِّن سادنًا له. كذلك وضعه كرسيًّا يحفُّ به الرجال ويُستر بالحرير ويُحمل على البغال، وكان يضاهي به تابوت بني إسرائيل المذكور في القران (الطبري 1963 ج6: 82–84؛ البلاذري 1996 ج6: 413–414؛ الشهرستاني 2011: 169؛ ابن كثير د. ت. ج8: 661). ومما زاد من نفور أصحابه عنه قوله لبعض زعماء الكوفة –مالك بن مسمع وزياد بن عمرو– "فاسمعا وأطيعا أوتكما (ولكما) من الدُّنيا ما شئتما، وأضمن لكما الجنَّة" (البلاذري 1996 ج6: 413–414؛ ابن أعثم 1991 ج6: 279؛ الطبري 1963

ج6: 46، 68–69، 79–80، 82–84؛ المسعودي 1986 ج3: 90؛ ابن كثير د. ت. ج8: 661، 663). وقد اتَّهمه أعداؤه بالعودة إلى شعائر الجاهليَّة (الطبري 1963 ج6: 82–84؛ البلاذري، 1996، ج6: 413–414). ويشير البغدادي إلى أن المختار خدعته السبئيَّة الغلاة من الرافضة فقالوا له: أنت حُجَّة هذا الزمان، وحملوه على دعوى النبوة، فادَّعاها عند خواصِّه (البغدادي 1988: 52–53).

لقد كان المختار مبتدعًا في عديد من آرائه السياسيّة، إلّا أنَّ الآراء التي بشَّر بها لم تكن تناسب العصر الذي عاش فيه حيث لم تتهيَّأ بعد الظروف المواتية لها، وقد استفادت لاحقًا بعد موته فرق أخرى من آرائه وتبنتها، وكانت الظروف آنذاك أكثر ملاءمةً حيث كانت فيها الدَّولة الأمويَّة تواجه العديد من الأزمات (البغدادي 1988: الباب الرابع).

إن أية حركة مناهضة في مجتمع ما تكون ردَّ فعل ونتيجة مباشرة لتحسين ذلك المجتمع ومحاولته تبديلها نحو الأفضل، وبمعنى آخر فإن بوادر التغيير تبدأ بالظُّهور قبل الحركة أو الثورة، وتحدث الثورة لتعطي زخمًا جديدًا وقوة دافعة لذلك التغيير. إن شعارات دعوة المختار لم تكن أكثر من انعكاسات لظواهر التغيير التي كان المجتمع الأموي يمر بها، إلّا أنه أساء التَّقدير فأخطأ حين اندفع أكثر مما يجب، وبشَّر بآراء سبق فيها عصره وعرَّض التركيب الاجتماعي كلَّه للخطر، فأبعد عنه ذوي النفوذ من العرب، ولم يستطع بمن بقي معه من الضعفاء (عرب وموالي وعبيد) أن يحقق النصر (فاروق 1999: 113).

ورغم مقتل المختار سنة (67هـ/686م) من قبل مصعب بن الزبير بعد أن تخلّى عنه أتباعُه، وخاصَّة أشراف الكوفة (الطبري 1963 ج5: 116؛ ج6: 93، 43–44)، فإنَّ حركته وأفكاره لم تنته بمقتله؛ فقد كان لها آثار كبيرة امتدت حتى نهاية الدولة الأموية، كما انعكست هذه الآثار على جميع الأحزاب والفرق السياسية والدينيَّة، وإذا كان المختار قد بنى مستقبله السِّياسي على غير أساس فهو ليس من قريش أو من أسرة النبيّ محمد –صلّى الله عليه وسلَّم– أو من أولاد الإمام علي بن أبي طالب، فقد بيَّنت حركتُه مدى الخطر الذي يهدِّد الدولة من جانب الفئات المتذمِّرة (فلهاوزن 1968: 478).

الخاتمة

–كانت شعارات حركة المختار تعبِّر عن مزيج من الرغبة في تحقيق العدالة، والانتقام لمقتل الحسين، والبحث عن قيادة شرعية من آل البيت.

–عبَّرت الشِّعارات المرفوعة في حركة المختار عن المظالم التي تعرَّض لها آل بيت النبي –صلّى الله عليه وسلَّم– من قبل الأمويين.

–هدف المختار من الشِّعارات ذات الطابع الديني التي رفعها في حركة أغراض سياسية تحقق رغباته وطموحه الشخصي.

–ساعدت هذه الشِّعارات في تعبئة الدعم الشعبي وإضفاء شرعية دينية وأخلاقية على الحركة؛ مما جعلها قادرة على تحقيق تأثير كبير في ذلك الوقت، ولو لفترة.

–إنَّ دلالة استخدام شعار يا لثارات الحسين يشير إلى الدافع القوي للانتقام والشعور بالظلم، ويحمل دلالة سياسية بأحقيَّة العلويين بالإمامة.

– استخدم المختار في شعاراته لغة قويَّة وبسيطة ومباشرة، ساعد ذلك في حشده الأتباع، خاصَّة من غير العرب.

–حملت الشِّعارات التي رفعها المختار وأتباعه دلالات سياسيَّة ودينيَّة عمَّقت حقَّ العلويين وأسَّست –على ما يبدو– لتأثيرات فكرية ظهرت في أفكار فرق أخرى لاحقًا.

The Movement of Al-Mukhtar ibn Abi Ubayd al-Thaqafi in Kufa (64 AH - 67 AH / 684 - 686 AD) Between Discourse, Slogans and Political Position

***Riad Hammoudeh Haj Yasen*[1]✉, *Amjad Mamdouh Al-Faouri*[2]**

ABSTRACT

The study examines analytically the movement of al-Mukhtar ibn Abi Ubayd al-Thaqafi in terms of its rhetoric and slogans. This movement emerged in Kufa in opposition to Umayyad rule and was distinguished by its political positions centered on demanding retribution for the killers of al-Husayn ibn ‘Ali and asserting the right of his brother Muhammad ibn ‘Ali ibn Abi Talib, known as Ibn al-Hanafiyah (d. 81 AH / 700 CE), to the imamate. This movement played political and military roles that deepened the Shi‘i revolutionary discourse opposing the Umayyad state and, ultimately, established a new trend in Shi‘i thought characterized by extremism, fanaticism, and revolutionary zeal. Accordingly, the study seeks to elucidate the intellectual and cultural rhetoric of al-Mukhtar’s movement, especially by examining the slogans it adopted and how they were reflected in the positions it promoted.

Keywords: *Al-Mukhtar, Slogans, Extremism, Opposition, Political and Intellectual Positions.*

[1] Department of History and Civilization, Faculty of Arts, Yarmouk University, Jordan.

✉ Corresponding author: riad.hajyasen@yu.edu.jo

[2] Department of History, School of Arts, The University of Jordan, Jordan, amjad.faouri@yahoo.com

Received on 31/7/2024 and accepted for publication on 2/12/2024.

المصادر والمراجع العربية

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت 630هـ/ 1233م) (1979)؛ الكامل في التاريخ، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية.

ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي (ت 314هـ/ 926م) (1991)؛ كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، بيروت: دار الأضواء.

ابن بكار، الزبير بن بكر (ت 256هـ/ 870م) (1962)؛ جمهرة نسب قريش وأخبارها، ج1، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة دار العروبة.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ/ 1448م)) د. ت)؛ الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن حزم، علي بن أحمد (ت 456هـ/ 1064م) (1985)؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجيل.

ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة (ت 240هـ/ 854م) (1968)؛ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، دمشق: وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت 832هـ/ 939م) (1999)؛ العقد الفريد، 6ج، تحقيق يوسف هبّور، بيروت: شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم للطباعة والنّشر والتوزيع.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/ 1372م) (د. ت)؛ البداية والنهاية، خرج أحاديثه محمد بيومي وعبدالله المنشاوي ومحمد رضوان مهنا، المنصورة: مكتبة الإيمان.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/ 1372م) (1998)؛ تفسير القرآن الكريم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن هشام، عبد الملك (ت 218هـ/ 833م) (1991)؛ السيرة النبوية، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر، بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو الشعر، هند غسان (1983)؛ حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة :من 15 رمضان 64 هـ 684م حتى 24 رمضان 67هـ –686 م. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت 429هـ/ 1037م) (1988)؛ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم: عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت، القاهرة: مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/ 892م) (1996)؛ كتاب جُمل من أنساب الأشراف، حققه وقدَّم له سهيل زكّار ورياض زركلي، بيروت: إشراف مكتبة البحوث والدراسات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.

البلخي، أحمد بن سهل (ت 322هـ/ 934م) (1997)؛ كتاب البدء والتاريخ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية.

الدوري، عبد العزيز (1986)؛ الجذور التاريخية للشعوبية، بيروت: دار الطليعة.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ/ 895م) (1959)؛ الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيّال، مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1347م) (2001)؛ سير أعلام النبلاء وبهامشه أحكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن العمروي، مصر: مؤسسة الرسالة.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت 548هـ/ 1153م) (2011)؛ الملل والنحل، ضبطه وعلق عليه كسري صالح علي، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الطبراني، سليمان بن أحمد (ت 360هـ/ 971م) (1983)؛ المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م) (1963)؛ تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف.

فاروق، عمر فوزي (1999)؛ نشأة الحركات الدينية السياسية، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

الفاعوري، أمجد (2023)؛ التكوينات الاجتماعية غير العربية في الإدارة والجيش في الدولة الأموية، بدعم من وزارة الثقافة، عمان: دار عصور للنسر.

فلهاوزن، يوليوس (1968)؛ تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله عن الألمانية وعلّق عليه محمد عبد الهادي أبو ريده، مراجعة حسين مؤنس، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة.

الكتبي، محمد بن شاكر الكتبي (ت 764هـ/ 1363م) (1973)؛ فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر.

المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/ 957م) (1986)؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق مفيد محمد قمحية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت 421هـ/ 1030م) (1987)؛ تجارب الأمم وتعاقب الهمم، حققه وقدم له أبو القاسم أمامي، طهران: دار سروش للطباعة والنشر.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت 336هـ/ 947 م) (1989)؛ صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، بيروت، لبنان: دار الشؤون الثقافية العامة.

الواقدي، محمد بن عمر (ت 207هـ/ 823م) (1966)؛ كتاب المغازي للواقدي، تحقيق مارسدن جونس، المملكة المتحدة: مطبعة جامعة أكسفورد.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (280هـ/ 893م) (1993)؛ تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

REFERENCES

Abū al-Shaʻar, Hind Ghassān (1983); *The Movement of al-Mukhtar ibn Abī 'Ubayd al-Thaqafi in Kufa: From 15 Ramadan 64 A.H.- 684 A.D. until 24 Ramadan 67 A.H.- 686 A.D.*, unpublished M.A. thesis, Faculty of Arts, University of Jordan.

al-Baghdādī, ʻAbd al-Qāhir ibn Ṭāhir (d. 429 A.H./ 1037 A.D.) (1988); *al-Farq bayn al-Firaq wa-Bayān al-Firqah al-Nājiyah minhum: 'Aqā'id al-Firaq al-Islāmīyah wa-Arā' Kibār A'lāmihā*, Muḥammad ʻUthmān al-Khusht ed., Cairo: Maktabat ibn Sīnā lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ wa-al-Taṣdīr.

al-Balādhurī, Aḥmad ibn Yaḥyā ibn Jābir (d. 279 A.H./ 892 A.D.) (1996); *Kitāb Jumal min Ansāb al-Ashrāf,* Suhayl Zakkār and Riyāḍ Ziriklī eds., Beirut: Ishrāf Maktabat al-Buḥūth wa-al-Dirāsāt. Dār al-Fikr lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ.

al-Balkhī, Aḥmad ibn Sahl (d. 322 A.H./ 934 A.D.) (1997); *Kitāb al-Bid' wa-al-Tārīkh*, waḍʻ ḥawāshīh Khalīl ʻUmrān al-Manṣūr, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah.

al-Dīnawarī, Abū Ḥanīfah Aḥmad ibn Dāwūd (d. 282 A.H./ 895 A.D.) (1959); *al- Akhbār al-Ṭiwwāl*, ʻAbd al-Munʻim ʻĀmir ed., Jamāl al-Dīn al-Shayyāl review, Cairo: Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Irshād al-Qawmī.

al-Dūrī, ʻAbd al-ʻAzīz (1986); *The Historical Roots of Populism*, Beirut: Dār al-Ṭalīʻah.

al-Ḏahabī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn ʻUthmān (d. 748 A.H./ 1347 A.D.) (2001); *Diyar A'lām al-Nubalā' wa-bi-Hamishihi aḥkām al-Rijāl min Mizān al-I'tidāl fī Naqd al-Rijāl*, Muḥibb al-Dīn Abī Saʻīd ʻUmar ibn al- ʻAmuruī ed., Cairo: Mu'assasat al-Risālah.

al-Faʻūri, Amjad (2023); *Non-Arab Social Formations in Administration and the Army in the Umayyad State*, supported by the Ministry of Culture, Amman: Dār ʻUṣūr lil-Nisr.

al-Hamadhānī, al-Ḥasan ibn Aḥmad ibn Yaʻqūb (d.336 A.H./ 947 A.D.) (1989); *Ṣifat Jazīrat al-'Arab*, Muḥammad ibn ʻAlī al-Akwaʻ ed., Beirut: Dār al-Shu'ūn al-Thaqāfīyah al-ʻĀmah.

Ibn al-Athīr, ʻIzz al-Dīn Abū al-Ḥasan ʻAlī ibn Muḥammad (d. 630 A.H./ 1233 A.D.) (1979); *al-Kāmil fī al-Tārīkh*, Ṭāhir Aḥmad al-Zāwī and Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī, eds., Beirut: al-Maktabah al-ʻIlmīyah.

Ibn ʻAbd Rabbuh, Abū ʻUmar Aḥmad ibn Muḥammad al-Andalusī (d. 328 A.H./ 939 A.D.) (1999); *al-'Iqd al-Farīd*, 6 vols., Yusuf Habbūr ed., Beirut: Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashir wa-al-Tawzīʻ.

Ibn Aʻtham, Abū Muḥammad Aḥmad al-Kūfī (d. 314 A.H./ 926 A.D.) (1991); *Kitāb al-Futūḥ*, ʻAlī Shīrī ed., Beirut: Dār al-Aḍwā'.

Ibn Bakkār, al-Zubayr ibn Bakr (d. 256 A.H./ 870 A.D.) (1962); *Jamharat Nasab Quraysh wa-Akhbārah*, Vol.1, Maḥmūd Muḥammad Shākir ed., Cairo: Maktabat Dār al-ʻUrūbah.

Ibn Hishām, ʻAbd al-Malik (d. 218 A.H./ 833 A.D.) (1991); al-*Sīrah al-Nabawīyah*, ʻAbd al-Salām Hārūn ed., Beirut: Dār al-Fikr, Beirut: Mu'assasat al-Risālah.

Ibn Ḥajar al-ʻAsqalānī, Abū al-Faḍl Aḥmad ibn ʻAlī ibn Muḥammad (d. 852 A.H./ 1448 A.D.) (N.D.); *al-Iṣābah fī Tamyīz al-Ṣaḥābah*, ʻĀdil Aḥmad ʻAbd al-Mawjūd and ʻAlī Muḥammad al-Ṭanāḥī eds., Beirut: al-Maktabah al-ʻIlmīyah.

Ibn Ḥazm, ʻAlī ibn Aḥmad (d. 456 A.H./ 1064 A.D.) (1985); *al-Faṣl fī al-Milal wa-al-Ahwā' wa-al-Niḥal*, Muḥammad Ibrāhīm Naṣr and ʻAbd al-Raḥmān eds., Beirut: Dār al-Jīl.

Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismāʻīl ibn ʻUmar (d. 774 A.H./ 1372 A.D.) (N.D.); *al-Bidāyah wa-al-Nihāyah*, Muḥammad Bayyūmī; ʻAbd Allāh al-Munshāwī and Muḥammad Raḍwān Muhannā, eds., al-Manṣūrah: Maktabat al-Īmān.

Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismā'īl ibn 'Umar (d. 774 A.H./ 1372 A.D.) (1998); *Tafsīr al-Qur'ān al-Karīm*, Muḥammad Ḥusayn Shams al-Dīn ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

Ibn Khayyāṭ, Abū 'Amru Khalīfah ibn Khayyāṭ ibn Khalīfah (d. 240 A.H./ 854 A.D.) (1968); *Tārīkh Khalīfah ibn Khayyāṭ*, Suhayl Zakkār ed., Damascus: Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Siyāḥah wa-al-Irshād al-Qawmī.

al-Kutubī, Muḥammad ibn Shākir al-Kutubī (d. 764 A.H./ 1363 A.H.) (1973); *Fawāt al-Wafayāt*, Iḥsān 'Abbās ed., Beirut: Dār al-Thaqāfah.

al-Mas'ūdī, 'Alī ibn al-Ḥusayn ibn 'Alī (d. 346 A.H./ 957 A.D.) (1986); *Murūj al-Ḏahab wa-Ma'ādin al-Jawhar*, Mufīd Muḥammad Qumḥīyah ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

Miskawayh, Abū 'Alī Aḥmad ibn Muḥammad (d. 421 A.H./ 1030 A.D.) (1987); *Tajārub al-Umam wa-Ta'āqub al-Himam*, Abū al-Qāsim Imāmī ed., Ṭahrān: Dār Surūsh lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr.

al-Shahrastānī, Muḥammad ibn 'Abd al-Karīm ibn Abī Bakr Aḥmad (d. 548 A.H./ 1153 A.D.) (2011); *al-Milal wa-al-Niḥal*, Kasrī Ṣāliḥ 'Alī, ed., Beirut: Mu'assasat al-Risālah.

al-Ṭabarī, Abū Ja'far Muḥammad ibn Jarīr (d. 310 A.H./ 922 A.D.) (1963); *Tārīkh al-Rusul wa-al-Mulūk*, Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm ed., Cairo: Dār al-Ma'ārif.

al-Ṭabarānī, Sulaymān ibn Aḥmad (d. 360 A.H./ 971 A.D.) (1983); al-*Mu'jam al-Kabīr*, Ḥamdī 'Abd al-Majīd al-Salafī ed., Beirut: Dār Iḥyā' al-Turath al-'Arabī.

al-Wāqidī, Muḥammad ibn 'Umar (d. 207 A.H./ 823 A.D.) (1966); Kitāb al-Maghāzī lil-Wāqidī, Mārsden Jones ed., Oxford: Oxford University Press.

Wellhausen, Julius (1968); *History of the Arab State from the Rise of Islam to the End of the Umayyad State*, translated from the German and annotated by Muḥammad 'Abd al-Hadī Abū Ridā, reviewed by Ḥussein Mu'nis, Cairo: Committee for Authorship and Translation.

al-Ya'qūbī, Aḥmad ibn Abī Ya'qūb ibn Ja'far (d. 280 A.H./ 893 A.D.) (1993); Tārīkh al-Ya'qūbī, 'Abd al-Amīr Muhannā ed., Beirut: Manshūrāt Mu'assasat al-A'lamī lil-Maṭbū'āt.